

## حبیب الشرتوني: «الرجل الخطير» عائد

السعد ابو خليك\*

حبیب الشرتوني: أنت وحدك «الرجل الخطير»، ولا رجل خطيراً غيرك في هذه الربوع. هناك أبطال ومقاومون ومقاومات، لكنك من صنف خاص كونك خرقت الزمن - لا بل عطلته تعطيلاً. ليس هناك من استحق اللقب والألقاب غيرك، أو أكثر منك. أنت طوّعت التاريخ بيدك، وقاومت مرتين: الاحتلال، ثم جلاذك الذين ما طوعوا عقلك أو عزيمنتك، سيشمّر أعوان إسرائيل في لبنان من الحراك الجاري من أجل عودتك مشفوعاً بفعل البطولة وإرادة مؤيدك. حبیب الشرتوني: أنا وغيري تحررنا من الأسر الإسرائيلي بفضل ساعدك (المصنوعين من «حجر وزعت»). حبیب الشرتوني: ليس هناك من يستحق موطناً قدم في لبنان، أكثر منك. في بلد غير لبنان، كان سيطلق اسمك على جادات وشوارع وحارات ومراكز، لكنهم ينعنونك بأوصاف القانون الجنائي أو لا يجروون على لفظ اسمك. اعتذروا من حبیب الشرتوني لأنه سيعود إلى بلد يضح ببشاعة تماثيل بشير الجميل ورفيق حريري وصورهما.

اعتذروا من حبیب الشرتوني لأنكم لم ترفعوا (بعد) تماثيل مرمية له في الساحات العامة. لكن لماذا يُحدث اسم حبیب الشرتوني كل هذا الهلع؟ اسمك زلزل، يا حبیب، وسيزلزل دعائم كل بيوت الكتاب وكل مقار القوات اللبنانية في مسخ الوطن. تهتز جدران بيوت الكتاب عندما تقترب منها على بعد أميال، يا حبیب. تماثيل قادة الكتاب ترتعش لذكر اسمك.

حبیب الشرتوني حصرمة بعين أعوان إسرائيل في لبنان، وفي خارجه. بين العدو الإسرائيلي وحبیب الشرتوني حساب عسير. لم تغفر دولة العدو للشرتوني فعل البطولة. لكن الشرتوني لم يكن ليتوقع أن تتعمق عقيدة التحالف مع إسرائيل وأن تعتنقها فئات عريضة من الشعب اللبناني. هناك في لبنان من بات يعتبر أن خدمة العدو هي جزء من التكريس الفعلي للهوية الطائفية (هل كانت هي تلك تبريرات زياد الحمصي الذي حظي بدعم نقولا فتوش العلني. أي أن نقولا فتوش يسعى وراء تأييد أي كان ولو كان عميلاً محكوماً لإسرائيل؟).

ماذا فعل حبیب الشرتوني؟ هو فعل فيما كان غيره نياماً. هو قام فيما كان غيره جالساً. هو تحقّق فيما كان غيره مصاباً بالخمول. هو انتصب فيما استلقى غيره. هو صرخ، فيما صمت الآخرون. هو أطلق فيما امتنع الآخرون. هو طار فيما التصق الآخرون بالأرض الوعرة. هو قفز فيما استكان الآخرون. هو قاوم فيما استنكف آخرون. حبیب الشرتوني رفض زمن الاحتلال الإسرائيلي ورفض كل مترتباته واستهدف حليف إسرائيل الذليل الأكبر فيما كان مجتمعاً مع أعوان ومؤيدين آخرين للعدوّ في بيت التعامل المركزي مع إسرائيل في الأشرقية. حبیب الشرتوني عنوان مرحلة في لبنان: هي مرحلة الاحتلال في مواجهة المقاومة. حبیب الشرتوني عجل في التاريخ، وقدم مرحلة على أخرى.

القصة معروفة ولا تحتاج إلى جهد الشرح. اجتاحت إسرائيل لبنان وككل اجتياح احتلالي، اعتمدت على أعوان محليين من عملاء الاحتلال الأجنبي وكان بشير الجميل في مقدمهم، وقرّر نبيل العلم وحبیب الشرتوني (والحزب الذي بدلاً من أن يزهو بزهرته يخلج بها) أن يتخلصوا من بشير الجميل هذا. في كل احتلال أجنبي تقوم حركة مقاومة الاحتلال بالتخلّص من أعوان الاحتلال وعملائه. لم يفعل الشرتوني والعلم كما فعل مقاومو الاحتلال النازي في فرنسا ضد المتعاملين والمتعاملات. لم يقم حبیب الشرتوني بدوس

نساء تعاونت مع الاحتلال تحت الأقدام حتى الموت، كما فعلت المقاومة الفرنسية في باريس بعد التحرير. لم يقتض الشرتوني من نساء، كما فعلت المقاومة الفرنسية بعد التحرير (يُقدّر أنّ ثلث المدنيين الذين تعرّضوا للقتل على يد المقاومة الفرنسية بعد التحرير في مقاطعة «بريتاني» كانوا من النساء). لا، حبیب الشرتوني قصد أن يقطع رأس أفعى التعامل مع العدو. سجّل (وسجّل) أن محطة «إم تي في»، التي لا تنفك عن نقل دعاية العدو الصهيوني بحذافيرها، تريد أن تعثر على حبیب الشرتوني. وسجّل أن «إم تي في» تريد أن تستخدم الإنترنت لمعرفة مكان الشرتوني. لتسهيل مهمة الـ «إم تي في» الجيمس بوندية، اتطوّع بالمساعدة: حبیب الشرتوني موجود في لا مكان، وفي كل مكان. حبیب الشرتوني شوهد هنا وهناك. حبیب الشرتوني، غادر ولم يغادر. حبیب الشرتوني ذهب وعاد ثم ذهب ثم عاد. حبیب الشرتوني موجود وغائب. هذا لا يعني أن الـ «إم تي في» لن توفر جهداً للعثور على حبیب الشرتوني لأنّ بشير الجميل - أسوأ لبناني على الإطلاق - هو «شهيد» بنظرهم. خلّت الشهادة من معناها الحقيقي عندما أُسيغت على أمثال رفيق الحريري وبشير الجميل.

قد يأتي يوم تحتلّ فيه صورة حبیب الشرتوني أغلفة كتب التاريخ الرسمية في لبنان. قد يأتي يوم تزدان فيه شوارع لبنان بتماثيل لحبیب الشرتوني فيما تخفت منه صور بشير الجميل ورفيق الحريري وتماثيلهما. قد يأتي يوم تصدر فيه الدولة اللبنانية طابع تذكارية عن حبیب الشرتوني. قد يأتي يوم يحفظ فيه تلاميذ المدارس أمثولات عن حياة حبیب الشرتوني الذي طبع مرحلة كاملة بساعديه الصخريين. مثل حبیب الشرتوني أمام جلاذيه وصبر وتحمل فيما لم يصبر ميشال علق في أول امتحان إلا ساعات، وفيما يندر أن يصبر منا على العذاب الذي لقيه الشرتوني من قتل القوات اللبنانية.

حبیب الشرتوني على كل شفة ولسان (وعلى صفحات الـ «فايسبوك») لكن اسمه ممنوع من التداول في لبنان. حبیب الشرتوني هو مقاوم أكبر (أو «سوبر مقاوم») في دولة تخلج بمقاومها. حبیب الشرتوني بعيد عن وطنه (وإن كان لم يغادره قط). لبنان ممنوع عن حبیب الشرتوني الذي ساهم بتحريره، أو الذي أسهم بالبدء بعملية التحرير. ليس هناك ما يدعو إلى أن يعتذر عنه حبیب الشرتوني. شكّل بشير الجميل عنواناً لمرحلة إسرائيلية قاسية أدلّت شعباً بكامله، وقرّر الشرتوني أن لا يقبل فرض الأمر الواقع الإسرائيلي وهو جالس على أريكة. ليس هناك من مقاومة احتلال عبر التاريخ لم تقتض من أعوان الاحتلال. بشير الجميل كان عنوان المرحلة الإسرائيلية. بشير الجميل لم يُنتخب لمنصب في تاريخه (القصير) - هو نُصب من قبل العدو في أعلى منصب في الدولة اللبنانية (قبل الطائف). بين يوم انتخاب بشير الجميل ويوم اغتياله أيام طويلة وثقيلة شعر من عاشها (وأنا منهم ومنهن) أنها أطول مرحلة في تاريخ لبنان وأقساها (صودف أنني كنت أقرأ وأعيد قراءة ديوان خليل حاوي في تلك الأيام وأذكر أن هذا البيت له عبر عن معاناة المرحلة: «وعرفت كيف تمطّ أرجلها الدقائق، كيف تجمد، تستحيل إلى عصور»). يذكر من عاش تلك المرحلة أن الجميل هذا (نموذج فاشي صغير من أدوات احتلال خارجي عاشته بلدان عديدة) شوق بنجاح، وبأموال أميركية وإسرائيلية وسعودية (صائب سلام واحد من المتلقين البارزين للمال السعودي في لبنان، ساعده). أذكر أن هناك في جنوب لبنان



اعتصام تضامني مع الشرتوني في بيروت (مروان طحطح)

الحز هذا الأمر)، ولا يجرواً أحد على الحديث عن عودة مظفزة لحبیب الشرتوني. سيعود، وسيرحل من لا تعجبه عودة الشرتوني. قد أكون مضطراً لمخاطبة الشرتوني بالأمر. قد أجدني مضطراً أن انحني أمامه شاكراً. الشرتوني خلّصنا من عذاب أكيد. صحيح أنّ أمين الجميل نُصب من قبل إسرائيل بعده، لكن الأخير لم يملك من مقومات الزعامة ما يجعله أداة فعالة بيد الاحتلال. قال الجميل للعدوّ إنه سيعطيهم أكثر من أخيه، وانتهى به الأمر مُتسكعاً على أعتاب قصر المهاجرين يستجدي النجدة والسماح والغفران.

ما الخطب؟ حبیب الشرتوني عائد، تحت إلهام الجماهير. هناك من كان في جيله، ومن كان في سن والديه، ومن كان من جيل لم يعرفه، يصنّ على عودته. يعود سمير جعجع إلى سجن معراب، ويعود إلي حبيقة إلى سدة الوزارة بأمر الاستخبارات السورية (وخادمها الأمين رفيق الحريري) ويبقى حبیب الشرتوني ممنوعاً؛ هناك حملة للمطالبة بعودة مشرفة لحبیب الشرتوني. جرائم حربهم غفرت لهم، وأهلتهم لفتح دكاكين وقصور وأحزاب، ولا يجوز أن يعود مُرتكب فعل البطولة؛ مجرمو الحرب راكمو المليارات ولا يعود حبیب الشرتوني إلى وطن لا يستحقه؟ بطرس حرب ومروان حمادة ووليد جنبلاط وإلياس المرّ حرضوا إسرائيل أثناء العدوان على لبنان في 2006 على ارتكاب المزيد من المجازر وعلى تقدّم قواتها في اجتياح لبنان، ويبقى كل واحد من هؤلاء حراً طليقاً ويبقى حبیب الشرتوني ممنوعاً من زيارة لبنان؛ زياد الحمصي وفايز كرم أطلقا من السجن بأمر سياسي وطائفي، ويبقى الشرتوني بعيداً عن مواطنيه؛ عدنان داوود يحرص على تقديم الشاي إلى جنود

أنداك من رأى في الجميل هذا مخلصاً، وأذكر أنّ وفداً (ولو صغيراً) من البسطة توجه إلى بكفيا لتهنئة الأداة الإسرائيلية على تنصيبها (لكن زعيم الوفد، فاروق شهاب الدين، على ما أذكر، تعرّض للاغتيال في ما بعد)، وكانت المرحلة بين تنصيبه البشع واغتياله الجميل مرحلة حبل بالغضب والبراكين. يوم تنصيبه (الذي أشرف على هندسته ميشال المرّ الذي عمل بجهد مع الإسرائيليين على دفع الرشى للمتريدين من النواب - المرّ هذا أتقن التعاون

هو مقاوم أكبر (أو «سوبر مقاوم») في دولة تخلج بمقاومها

يعود جعجع ويعود حبيقة ولا يعود الشرتوني؟

مع الإسرائيليين كما أتقن في ما بعد التعاون مع النظام السوري) جلس الجميل إلى طاولة يتابع النتائج مُحاطاً بشارل مالك وفيصل أرسلان (وكان الأخير يحلم أن يجعل منه الجميل زعيماً مثل والده في العشرينيات من عمره). انتظر الجميل النتائج وكان المعركة ديموقراطية حقيقية. كانت مسرحية لم تنطل. في لبنان، يتحدّثون بصفاقة عن عودة عملاء جيش لحد وإرهابيينه إلى لبنان (وقد لحظ «التفاهم» بين حزب الله والتيار الوطني

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ مدير التحرير: إيلي شلموب، وظيف، قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليف ■ مجتمعي: مهدي زراقات ■ عالم: حسام كنفاني ■ ثقافة: وائل، اهل الاندري ■ وحدة البحوث: عمر شابطة

■ المدير الفني: اميل منعم ■ مدير الموقع الإلكتروني: منصور عزيز ■ رئيس مجلس الإدارة: ابراهيم الامين ■ الإدارة المالية: فادي خليك ■ الموارد البشرية: رينا اسماعيل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام دونات - سنتر كونورد - الطابق السادس ■ تليفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113 ■ www.al-akhbar.com

■ الإعلانات: Tree Ad 03/252224-01/611115 ■ التوزيع: شركة اللوانك 03/828381-01/666314-15

الزخار

تأسست عام 1953  
تصدرت شركة «إخبار بيروت»

رئيس التحرير: المؤسس  
جوزف سماحة  
(2006-2007)

مستشار مجلس التحرير  
أنسي الحاج

رئيس التحرير: المدير المسؤول  
إبراهيم الامين